العناصر الأولى(١)

من الخدمات الاجتماعية الضرورية للعشائر البدوية في بلاد الشام

إن أكبر خدمة اجتماعية وأنبل مساعدة إنسانية تسدى إلى هؤلاء البدو هي سوقهم نحو التطوُّر والتحضر أي نحو الإقلال من الظعون والأسفار والأباعر والأبعار، ومغادرة بيوت الشعر وسكنى بيوت الطين والحجر والتخلص من الفقر، والجهل، والمرض، وتملك الأرضين وتفجير الينابيع والقنوات، والانكباب على الفلاحة والزراعة اللتين فيهما خبز حلال وماء زلال. ونحن نعتقد أن الزمان لا بدَّ أن يفعل فعله بهؤلاء البدو ويكرههم رويداً رويداً على قبول هذا التطوُّر والتحضر. وهو أمر طبيعي، تفذ في كل الشعوب والعشائر التي كانت قبلهم ومثلهم، فهجرت البداوة، وانصهرت في بوتقة الحضارة. لكننا نحن نود أن نستعجل الزمن فنجعل القسم الأول من البدو من القسم الثاني في أقرب وقت ممكن، والقسم الثاني من القسم الثالث، والثالث من المتحضر تماماً تارة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتارة بالدفع والقسوة شأن الأم الرؤوم التي تحاول أن تسقي فلذة كبدها دواء مرًّا فيمتنع هذا، ويتدلل في تجرعه، فتصبه في فمه صبًّا عنوة وقسراً.

كان البدو الى مضي ٢٠ — ٢٥ سنة يعتمدون على (الغزو) و (السلب والنهب) ويعدونهما بعد رعي الإبل والغنم مرتزقهم الطبيعي، ويهتبلون الفرص من فوضى الأحكام، وضعف السلطات، ليستبيحوا حمى المعمور ويعيثوا في الأذى والعدوان. إلاّ أن هذه الفرص لم تعد تواتيهم كالأول، ويجب أن لا تواتيهم. فسبيل الغزو انقطع أو كاد بفضل قوى البادية وحراسها راكبي الهجن أو راكبي السيارات المسلحة في دول العراق، وسورية،

(١) بقية محاضرة الاستاذ وصفي زكريا للتدوير نشر منها في العدد السابق

والأردن ، والمملكة السعودية . ثمّ ان سيارات الزكب والنقل زاحمت الإبل والخيل ، وسدّت أبواب الرزق أمامها الى حدّ بعيد . ومن أجل ذلك أصبح البدوي في حاجة كلية الى (التطوّر) أي الى إيجاد مورد عيش جديد ثابت في المعمورة أو في قربها ، والى الإنصراف نحو الفلاحة والزراعة ، واستثمار خيرات الأرض ، والتخلص من الفقر ، والجهل ، والمرض ، وهذا هو (التحضر) الذي نرومه وسنذكر في المواد التالية شروطه المناسبة

١ — الأمن : إن البدو لا ينصرفون الى الفلاحة والزراعة ، ولا يرضخون للتطوّر الطبيعي ، ولا يتحضرون ما لم يفرض عليهم التحضر فرضاً ، ويضطرون الى اعتناقه قسراً . ولا يتم هذا إلاّ متى رأوا الأمن في البادية موطداً توطيداً تامّاً ، ووجدوا فوق رؤوسهم حكومات قوية وقوانين صارمة تردعهم عن هوات أنفسهم المتحفزة للوثوب والطغيان . وهو ما نرجو أن تستمر عليه الدول العربية التي عددناها ، وذكرنا ما وضعته لأجل هذه الغاية من قوى الهجانة والسيارات المصفحة ، ونرجو أن يتساوى كبراء البدو مع صغارهم ، وقويهم مع ضعيفهم ويعاقب المعتدون منهم عقاباً صارماً سريعاً ، بالنظر الى أن البدوي لا يفهم غير لغة العقوبة الصارمة السريعة .

٢ — بعد توطيد الأمن وقطع كل أمل للبدو في الغزو والسلب والنهب يرجى من الحكومات العربية أن توجههم نحو الفلاحة ، والزراعة ، وتعلمهم أساليبها وتمرّدهم على مزاولتها وتقطعهم الأراضي البائرة والخرب الدائرة من أملاك الدولة التي في أطراف المعمورة وتقسمها على افرادهم بالعدل لا على مجموعهم ، كي لا يستبد بها الشيوخ وحدهم على شريطة أن يبنوا فيها القرى والمساكن ، ويستقروا إن لم يكن كلهم فمعظمهم وينصرفوا بأنفسهم وأيديهم نحو الحرث والزرع والعيش الشريف والهدوء اللطيف .

٣ — منح المحتاجين منهم إعانات لشراء الأدوات الزراعية واليسور ودواب العمل وفتح قنوات الري ، وإقراضهم لأجل ذلك رؤوس أموال بشروط خفيفة ، على أن تربط هذه الإعانات والقروض بكفالات قوية تؤمن انفاقها في سبيلها ، لا في سبيل منح الشيوخ وترفهم .

٤ — إيجاد ماء الشرب للبدو وماشيتهم ، وذلك بحفر العدد الكبير من الآبار الحديثة التي حفرتها مصلحة الري السورية في مختلف أنحاء البادية ، وتنظيف الآبار القديمة التاريخية وترميم جدرانها ، وتسهيل الإنتياح من هذه وتلك بالوسائط البدوية أو بالمحركات والصهاريج المحمولة على سيارات متنقلة .

٥ — ايجاد مستودعات في بعض نقاط البادية ومخافرها تخزن فيها كميات كافية من الأعلاف كالتبن والكلأ المجفف لاطعام الماشية ، وذلك في حالة استمرار الجدب والقحط ، ثم ايجاد الملاجىء والحظائر الصالحة لايواء هذه الماشية في فصل الشتاء ووقايتها من الصقيع إذا اشتد واستمر والثلج اذا تراكم . فهذه المستودعات والملاجىء تحفظ هذه الماشية التي هي الرزق الاساسي للبدو وشركائهم في الحواضر ، ومصدر كبير لغذاء أهل المدن من لحمها ولحومها وأصوافها وجلودها ، وثروة عظيمة للبلاد وللحكومات تقدر بالملايين ، فمن الضروري حفظها بانفاق مبلغ زهيد في سبيل المستودعات والملاجىء المذكورة ، وربّ فلس وفى ديناراً .

٦ — تأسيس مستوصفات نقالة محمولة على سيارات كبيرة يذهب بها أطباء وممرضون ويلحقون البدو الى أماكن تجمعهم في البادية ، أو أماكن تقيظهم في المعمورة ، ويداوونهم ويلقحونهم ويعالجون أمراض البجل والجدري والتراخوما وأمثالها التي تفتك فيهم وبدوابهم .

٧ — ارسال بعثات بيطرية في سيارات كبيرة أيضاً يذهب بها أطباء وممرضون بيطريون ويلحقون البدو ويداوون مواشيهم ويلقحونها ويعالجون الجدري والجرب والأمراض المعدية والمعائية التي تفتك فيها كثيراً .

٨ — تجفيف المستنقعات في الأماكن التي يقيظون فيها في المعمورة وتخليصهم من حمى الملاريا التي تصيبهم دائماً .

٩ — مكافحة الأمية ونشر التعليم وذلك بأن تفتح في المدن المتاخمة للبادية مدارس ابتدائية خاصة بأبناء العشائر ، على أن تكون ابتدائية داخلية مجانية مستوفية الشروط ومنشطة لهم وجذابة لقلوبهم . لأن هؤلاء الأبناء إذا تعلموا وتثقفوا ونالوا على الأقل

(الشهادة الابتدائية) يرجى يوماً ما حينما يخلفون آباءهم أن يكونوا قدوة حسنة ودعاة تحضير واستقرار وتهذيب لعشيرتهم وخصوصاً اذا كانوا من أبناء الشيوخ والكبراء. ومن دواعي السرور أن الحكومة السورية قد تبنت هذه الفكرة وصممت عزيمتها على فتح هذه مدارس عشائرية في مطلع السنة الدراسية القادمة

١٠ — ان يوفد وعاظ وأطباء من أهل الحمية والمعارف الدينية الصحيحة لارشاد البدو الى ما يجهلونه من الاعتقادات والعبادات والتعاملات ويدعون الى الفضيلة والخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. لأن البدو طبيعتهم وتوحش مواديهم جفاة الطباع وهم أشد الناس حاجة الى ما يشذب من أخلاقهم وينقف من أمياتهم وينبط ماء الطمأنينة والشفقة من قلوبهم. والبدو لفقد الوازع بين ظهرانيهم وانتشار الجهل في مجتمعهم هم بحاجة شديدة الى الدين البسيط الخالي من الخرافات. وهم أشد الناس خضوعاً وتأثراً بالدين ومواعظه إذا عرضوه، وله في نفوسهم تأثير فعّال جداً.

١١ — الغاء القرارات والأنظمة بشأن ادارة البدو ومعاملتهم التي أصدرها الفرنسيون في عهدهم حينما كانوا مسيطرين مباشرة على العشائر ومعديهم عن الحكومة السورية. يجب أن تبدل هذه القرارات والأنظمة بما هو أنسب للروح القومية، وأن توسع حدود المعمورة وتصغر حدود البادية الموضوعة فيها، وتقلل الغلواء التي أعطوها للبداوة ضد الحضارة. وهذا التبديل قد شرعت فيه الحكومة السورية وصممت عزيمتها على اصدار قرارات جديدة فيه.

١٢ — تخفيف وطأة (القضاء البدوي) أو (الأصول العشائري) حيث يترافع البدو ويتحاكمون أمام بعض الشيوخ والقضاة منهم؛ لأنه حكم جاهلي فيه كثير من الشوائب والبعد عن المنطق كمؤاخذة الأقارب حتى الجد الخامس بجريمة قريبهم الجاني، واعتبارهم مدانين بقبول أخذ الثأر منهم ودفع الدية. وفيما يتعلق باستحصال الحقوق عن طريق ما يدعونه (الوسقة) ممن لا ثقة له في الأمر ولا جل، وفي اجحافه بحقوق النساء وحرمان المرأة من نصيبها الشرعي في الارث، وفي تزويج البنت البكر البالغة من أي رجل اختاره لها أبوها أو وليها بدون أخذ رأيها وغير ذلك مما يجب نبذه وسوق العشائر نحو الاحكام

الشرعية والقوانين المدنية التي فيها عدل وروية أكثر من أحكامهم وقوانينهم الشاذة ، وان ادعوا انها أنسب لحالتهم وعقليتهم .

هذا ما سمح به الوقت القصير المحدد لهذه المحاضرة المختصرة فعسى هذه الأماني الاثنا عشر من الخدمات الاجتماعية التي ذكرتها تبلغ مسامع المسؤولين من أمور البادية والبدو فيعملوا بها وينفذوها ويكون مؤتمركم هذا قد سعى سعيه الانساني ، والساعي الى الخير كفاعله .

وصفي زكريا مهندس

[المقتطف] — لهذه المحاضرة فائدة إنشائية عظيمة إذا كانت الحكومة السورية واللبنانية أيضاً تهتمان بشؤون هؤلاء البدو على النحو الذي أشار به المهندس الزراعي السيد وصفي زكريا . فعسى أن تلتفت الى المشروع الحكومة والبرلمان .

العلاج بهرمون « أتش »

أتى العلاج بهرمون « اتش » الذي هو مختصر هرمون ادرينو كورتيكوتروفيك Adreno cortico Trophic Hormon بنتائج عجيبة .

وبعض علماء الطب يتكلمون عنه بقولهم « قصة الجيل الطبية » . وقد وقف الأطباء الواحد بعد الآخر في اجتماع في كلية الجراحة الأميركية يقصون اختباراتهم العجيبة في مرضاهم الذين عالجوهم بهذا العقار الجديد العجيب

فهو ناجح في وجع المفاصل والتقرس والحمى الروماتزمية وأمراض العضلات الواهنة وفي التهاب المعى الغليظ المتقرح وفي مرض السكر المفاجىء المسمى جيوجليسيميا وبعض أمراض الجلد وفي عواقب التسمم بالكحول (الخمر)

وظهر أنه لا يفيد في السل وضغط الدم العالي وتصلب الشرايين وادواء أخرى . وأما في السرطان وبعض الأمراض التي تحت بصلة للسرطان فلا يزال تحت النظر .

ويقال أن مقدرة « اتش » المدهشة ستوجه النظر الى عهد جديد في الطب .